التكرار في الحديث النبوي الشريف

الأستاذة الدكتورة أميمة بدرالدين*

الملخص

التكرار أسلوب تعبيري معروف، استعمله العرب في كلامهم لغايات متعددة، فأحسنوا تارة وأساؤوا تارة أخرى، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم واحداً من العرب يتكلم بلسانهم ويستعمل أساليبهم فقد استعمل التكرار وجعله وسيلة من وسائل الدعوة، وطريقة من طرق تبليغ مبادئها، فكرر الحرف الواحد في الكلمة فحمل تكراره جزءاً من المعنى، كما كرر اللفظة أو العبارة أو الأداة أو الصيغة الواحدة أحياناً، وقد يكرر المعنى دون اللفظ، وهذا النوع من التكرار كان شائعاً في الحديث كالتكرار اللفظي إن لم نقل أكثر، كل ذلك لتحقيق أهداف كان النبي صلى الله عليه وسلم يسعى إليها، كتأكيده للمعنى، أو التحذير منه، أو الترغيب فيه، أو الوعيد والتهديد أو غير ذلك من الأغراض الأخرى التي حققها من خلال التكرار، فأحسن وأجاد.

* قسم اللغة العربية - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق

تمهيد:

أرسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى العرب وهم أهل لسن وفصاحة، فتحـدّاهم ببضاعتهم، وأعجزهم بلسانهم، وحتى ببيانه أعناقهم، ما خرج عن أسلوبهم ولا استعمل ألفاظاً غير ألفاظهم، بل نهج نهجهم واتبع أسلوبهم فكانّ الكلام منه أبلغ، والفصاحة عنده أوضح، وهو ما شهد له به الأعداء والأصحاب، حتى سئل مرّات عدة عنْ سبب بلاغته وهو منهم ولم يخرج منْ بين أظهرهم، ولعلّ هذا الأمر يتضح في كل جانب من جوانب أسلوبه إلا أنّ التكرار كان له ميزة واضحة في حديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، فمع كثرة استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم للتكرار في أحاديثه لم نجد فيه عيباً ولا تكراراً مملاً، ومع ذلك فإنّ التكرار في الحديث يختلف اختلافاً واضحاً عن التكرار في القرآن الكريم ـ وإنْ كان القرآن قد نزل بلغة العرب وعلى أساليبهم في الكلام ـ فاختلافهما يعود إلى اختلاف مصدريهما، فالقرآن كتاب إلهي نزل به الروح الأمين على قلب نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، والحديث من كلام المصطفى صلى الله عليه وسلم وهو قبل كل شيء بشر ولذا كان تكرارالقرآن منْ هذا الصنف المعجز، فهو يشبه التكرار العربي اسماً، ويختلف عنه جوهراً، وممّا يميز تكرار القرآن هو ما ورد فيه منْ تكرار القصص - إذا اعتبرنا ذكر القصص في أكثر من سورة تكراراً- وتكراره للحرف الواحد في آيات متعددة من السورة، ومنْ أمثلة هذا تكراره لحرف النون في سورة القلم، ولحرف الراء في سورة الفجر، وقسْ على ذلك كثير من السور، ولعلّ أهمّ منْ هذا كله ما رأيناه في بعض السور منْ تكراره لآيتين ـ أو أكثر ـ متفقتين في ألفاظهما، مختلفتين في ترتيبهما، فقد يقع في بعضها زيادة أو نقصان، أو تقديم أو تأخير، أو إبدال حرف مكان حرف ممّا يوجب وجود اختلاف بين هذه الآيات وبين تلك التي تكرّرت منْ غير زيادة أو نقصان، كقوله تعالى: (وَأَبْصِرْهُمْ

فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ)[1] وقوله: (وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ)[2]، وكقوله تعالى: (وَلَئِن رّددتّ إِلَىَ رَبّي)[3] وقوله: (وَلَئِن رجعتُ إِلَىَ رَبّي)[4] وغيرها. وهذا النوع مــن التكــرار لا يمكــن تفسيره إلاّ بأنه دليل منْ دلائل الإعجاز الذي لا يدرك إلا بأنْ يتمتع الإنسان بقدر كبير من اليقظة والتدبر حين يقرأ القرآن، فالتكرار في القرآن الكــريم دليــل مــنْ دلائــل إعجازه، والتكرار في الحديث النبوي وسيلة من وسائل الدعوة، وطريقة من طرائــق التبليغ، آتت أكلها وثمارها في قلوب السامعين.

التكرار لغة واصطلاحاً:

الكرّ: الرجوع، يقال: كرّه وكرّ بنفسه، يتعدى ولا يتعدى، والكرّ مصدر: كرّ عليه يكرّ كرّاً وكروراً، وتكراراً، عطف وكرّ عنه: رجع، وكرّعلى العدو يكــرّ: ورجــل كرّار ومكرّ: وكذلك الفرس، وكرّر الشيء وكرْكره: أعاده مرّة بعد أخرى، والكــرّة: المرّة، والجمع كرّات، ويقال: كرّرت عليه الحــديث وكركرتــه: إذا رددتــه عليــه، وكركرته عنْ كذا: إذا رددته، والكرّ: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار.

وقال الجوهري: كرّرت الشيء تكراراً وتكريراً، والكركرة من الإدارة والترديد، وهو منْ كرّ وكركر، قال: وكركرة الرحى: ترددها، وألحّ على أعرابــي بالــسؤال، فقال: لا تكركروني، أراد لا تردّدوا عليّ السؤال فأغلط.[5]

---

[1] سورة الصافات، آية 175
[2] سورة الصافات، آية 179
[3] سورة الكهف، آية: 36
[4] سورة فصلت، آية 50
[5] لسان العرب: (كرر)

وقال أبو البقاء: والتكرار مصدر ثلاثي يفيد المبالغة، كـالترداد مـصدر ردّ، أو مصدر مزيد أصله التكرير قلبت الياء ألفاً عند الكوفية، ويجوز كسر التاء فإنه اسم من التكرّر.[6]

واصطلاحاً:

هو أسلوب تعبيري يصوّر انفعال النفس بمثير ما، واللفظ المكرّر منه هو المفتاح الذي ينشر الضوء على الصورة لاتصاله الوثيق بالوجدان، فالمتكلم إنّما يكرّر ما يثير اهتماماً عنده، وهو يحبّ في الوقت نفسه أنْ ينقله إلى نفوس مخاطبيه أو منْ هم في حكم المخاطبين ممّن يصل القول إليهم على بعد الزمان والديار.[7]

والتكرار قد يكون بتكرار اللفظ الواحد لفظاً ومعنى، أوتكرار المعنى فقط.[8]

التكرار في الحديث النبوي الشريف:

والتكرار ليس غريباً على العرب، وإنما هو سنّة منْ سننهم كما يقول ابن قتيبة (276 هـ): (وللعرب المجازات في الكلام ومعناها طرائق القول ومآخذه، ففيها الاستعارة والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار)[9] وقال ابن فارس: (ومنْ سنن العرب التكرير و الإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر)[10]، وقد استعمله النبي صلّى الله عليه وسلم لأنّه إنما يتكلم بلغتهم وعلى مذاهبهم في الكلام ومن مذاهبهم التكرار إرادة التوكيد والإفهام كما أشار ابن قتيبة وغيره، وكان عادة معروفة

---

[6] الكليات لأبي البقاء: ص: 297

[7] التكرار بين المثير والتأثير، ص: 136

[8] معجم البلاغة 2 / 750

[9] تأويل مشكل القرآن: ص 233

[10] الصاحبي في فقه اللغة، ص: 07 2

عنه صلى الله عليه وسلم، فقد أشار أنس بن مالك رضي الله عنه إلى هذا عندما وصف منطق رسول الله صلى الله عليه وسلم: فقال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تكلّم بكلمة أعادها ثلاثاً، وإذا سلّم سلّم ثلاثاً)[11].

قال العيني (ت 855 هـ)[12] في باب منْ أعاد الحديث ثلاثاً ليعقل عنه: (هذا باب في بيان منْ أعاد كلامه في أمور الدين ثلاث مرّات لأجل أنْ يفهم عنه، وقال الخطابي[13]: إعادة الكلام ثلاثاً إمّا لأنّ من الحاضرين منْ يقصر فهمه عنْ وعيه فيكررّه ليفهم، وإمّا أنْ يكون القول فيه بعض الإشكال فيتظاهر بالبيان، وقال أبو الزناد[14]: أو أراد الإبلاغ في التعليم والزجر والموعظة)[15] وقد لمح العيني معنى المداومة والاستمرار على هذا الفعل من خلال القول السابق، فقال: (قال الأصوليون: مثل هذا التركيب يشعر بالاستمرار، قلت: لأنّ كان تدلّ على الثبات والدوام بخلاف صار، فإنه يدل على الانتقال، فلهذا يجوز أنْ يقال: كان الله ولا يجوز أنْ نقول: صار الله)[16].

أقسام التكرار:

والتكرار في الحديث النبوي ضربان: تكرار بالمعنى فقط وتكرار باللفظ والمعنى، وهو ما أشار إليه علماء البلاغة، إذْ جعلوا التكرار على قسمين: تكرار بالمعنى وتكرار باللفظ ، فقد ذكر ابن جني التكرار عند العرب وقسّمه إلى قسمين وجعله

---

[11] والحديث في صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليعقل عنه، رقم الحديث: 94- 95

[12] والعيني هو:أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى العيني، إمام عصره في المنقول والمعقول، انظر ترجمته في: عمدة القاري: 1 / 40، وفي الأعلام: 7 / 163.

[13] الخطابي هو: حمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب البستي، فقيه، محدث، ت 388 هـ، الأعلام: 273/2

[14] وأبو الزناد هو:عبد الله بن ذكوان القرشي، من كبارالمحدثين، وكان يسمى بأمير المؤمنين في الحديث، ت 131 هـ، تهذيب تاريخ دمشق، 7 / 385

[15] عمدة القاري: 2 / 115

[16] عمدة القاري: 2 / 116

ضرباً منْ التوكيد، فقال: (اعلم أنّ العرب إذا أرادت المعنى مكّنته واحتاطت له، فمنْ ذلك التوكيد التكرير وهو على ضربين: أحدهما تكرير الأول بلفظه وهو نحو قولك: قام زيد، قام زيد، والثاني: تكرير الأول بمعناه وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم، والآخر للتثبيت والتمكين، الأول كقولنا: قام القوم كلهم، ورأيتهم أجمعين، والثاني: قام زيد نفسه ورأيته نفسه).[17]

وقد قسّم البلاغيون التكرار إلى مذموم معيب ومقبول حسن، امّا المذموم المعيب فهو ما كان مستغنى عنه غير مستفاد به زيادة معنى، ومثل ذلك لغو وخطل من القول، والعلماء يجمعون على أنّ هذا النوع لا يوجد منه شيء في القرآن، وهذا مقتضى إعجازه وبلاغته، والمقبول الحسن: هو ما ورد في المواضع التي تقتضيه وتدعو الحاجة إليه فيها، وكان له أثره الحسن في الكلام سواء منْ حيث المعاني والأفكار أو منْ حيث المباني والألفاظ، أمّا منْ حيث المعاني والأفكار فإنّ ما يستحسن ويقبل من التكرار ما كان وثيق الارتباط بالمعنى إما بتأكيده أو توضيحه، أو تقويته، أو استغراق تفاصيله وأجزائه، وأمّا منْ حيث المباني والألفاظ: فإنّ التكرار المقبول أيضاً يعدّ ركناً أساسياً منْ أركان الرنين والانسجام في الشعر، هذا فضلاً عن ما يضفيه التكرار من العناية والدعوة إلى الاهتمام به والتنبيه عليه، (فأثر التكرار راجع إلى أنّه يزيد الشيء المكرّر تميّزاً منْ غيره، فالأشخاص الذين يقع نظري عليهم كثيراً يزدادون وضوحاً في إدراكي، وتصبح صورهم بمنزلة الصبغة القوية التي تستأثر بذاكرتي، وكذلك الأقوال ولهذا كان التكرار والإلحاح في التكرير هو الركن الأساسي الذي يقوم عليه فنّ الدعاية)[18].

ورأى ابن رشيق القيرواني أنّ التكرار أكثر ما يقع في الألفاظ وهو في المعاني أقلّ، قال: (وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني وهو في المعاني دون الألفاظ

---

[17] الخصائص لابن جني: 3 / 101

[18] مبادئ علم النفس العام: ص: 245

أقلّ)[19]، وعدّ ابن الأثير التكرار[20] منْ مقاتل علم البيان وهو عنده أيضاً تكرار بـــاللفظ والمعنى وتكرار بالمعنى دون اللفظ.

أقسامه في الحديث النبوي:

والتكرار في الحديث النبوي لا يخرج عنْ هذا التقسيم، فالتكرار عنده صلى الله عليـــه وسلم إمّا تكرار بالمعنى فقط دون اللفظ وهو كثير، وإمّا تكرار باللفظ والمعنى، وقد يصبح تفسير استعمال النبي صلى الله عليه وسلم لهذا الأسلوب أكثر وضوحًا إذا تذكّرْنا أنّ مهمته الأساسية هي التبليغ كما ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، وكما أكّد ذلـــك النبـــي صلى الله عليه وسلّم في أحاديثه أيضاً، وإذا كانت مهمة النبي صلى الله عليه وسلم التبليـــغ والتعليم فهذا أمر يقتضي التكرار كما هو معروف لاختلاف حالة المخـــاطبين وتبـــاين مستوياتهم في الاستيعاب والفهم، يقول جرونيباوم: (يجب ألاّ يغـــرب عـــن البـــال أنّ محمّداً إنّما كان يبغي أنْ يعلّم وأنْ يصلحْ، والواعظ والمعلّم مجبران بحكم عملهما في ذاته إلى التكرار، بلْ إلى التكرار بالألفاظ نفسها تقريباً)[21].

فالنبي صلى الله عليه وسلم إذاً لمْ يكنْ يكرّر باللفظ فقط، وإنما كان يكرّر باللفظ أحياناً وباللفظ والمعنى تارة أخرى.

التكرار باللّفظ:

ونعني به إعادة اللفظ نفسه أو العبارة نفسها لدواعٍ مختلفة، وهو أمر طبيعي كما أشار علماء البلاغة، فهناك بواعث كثيرة للتكرار، كما أنّ طبيعة مهمة النبي صلى الله عليه وسلّم تدعوه لاتباع هذا الأسلوب ليدرك السامع المراد، وقد وردت عنه صلى الله

---

[19] مبادئ علم النفس العام: ص: 245

[20] العمدة: 2 / 298

[21] المثل السائر: 2 / 146 . حضارة الإسلام: ص: 109

عليه وسلم عبارات أو ألفاظ استخدمها في ظروف مختلفة ولدواع متعددة، والتكــرار اللفظي عنده أنواع، فقد يكون المكرّر حرفاً واحداً في كلمة واحدة، وقد يكون كلمة، أو عبارة، أو صيغة، أو أداة.

تكرار الحرف:

وتكرار الحرف الواحد في اللفظة له معناه ومدلوله المعنوي والموســيقي، فقــد يحكي اللفظ حالة المتكلم أو يشير إلى معنى اللفظة نفسها، فهو يمثل بتكــرار حرفيــه تكرار المعنى الذي هو أصل مادته، سواء كانت فعلاًأو صوتاً، وهو ما أشار إليه ابن جني قديماً في حديثه عن لفظ الزعزعة والقلقلة والصلصلة[22] ويتضح أثر هذا التكرار في المعنى إذا تذكرنا أنّ أصل اللغة عند كثير من اللغــويين هــو محاكــاة أصــوات الطبيعة، يقول ابن جني: (وذهب بعضهم إلى أنّ أصل اللغات كلّهــا إنّمــا هــو مــن الأصوات المسموعات، كدويّ الريح وحنين الرعد، وخرير الماء، ونعيق الغــراب، وصهيل الفرس ... إلى أن يقول: وهذا عندي وجه صالح ومذهب متقبّل)[23] وهو مــا أكّده المحدثون أيضاً من علماء اللغة، فأرجعوا بعضها إلى روابط طبيعية والأخــرى إلى روابط وضعية يقول د. وافي: (... أمّا الــروابط الطبيعيــة فأساســها محاكــاة الأصوات، فكثير من الكلمات الدالة على أصوات الإنسان والحيوان والأشياء، وبعض الكلمات الدالة على الأفعال التي يحدثها الإنسان أو غيره، تحكي أصواتها في صــورة ما الظواهر التي تعبر عنها، ومنْ ذلك القهقهة والدندنة .. أما النــوع الثــاني وهــو العلاقة الوضعية فيكون بالاشتقاق العام، والاشتقاق الكبير، والاشتقاق الأكبر)[24] ومن

---

[22] الخصائص: 2 / 52

[23] الخصائص: 1 / 46 ــ 47

[24] فقه اللغة: علي عبد الواحد وافي: ص: 175 وما بعدها.

هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم: (يا أمّ السائب ما لك تزفزفين)[25]، فلهذا التكـرار مزيّتان هنا منها ما يعود على الجرس ومنها ما يعود على المعنى، وقد ساعد تكرير الحرف في تشخيص المعاني وتقريبها منْ إدراكنا الحسي، إذْ قدّمت لنا لفظة تزفـزفين حالة الحمّى والهذيان الذي يرافقها، والرعدة التي تأخذ صـاحبها، ومـع أنّ العـرب استعملت هذا اللفظ في معان متعددة: منها تقرّب الخطو ويكون في الناس وفي غيرهم، أو الإسراع، ويقال: هبّت الريح هبوباً خفيفاً أو شديداً أو وسطاً بـين ذلـك وتحريـك الريح اليابس من الحشيش والريح ذات الصوت، إلا أنّ النبي صلى الله عليـه وسـلم منحه معنى جديداً كما هو شأنه في كثير من الألفاظ.

ومنه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم في حديثه عنْ أشكال الـوحي: (وأحيانـاً أسمع صلصلة كصلصلة الجرس)[26] فقد حكى بتكراره لحرف الصاد صوت الصلصلة التي كانت ترافق الوحي، فيسمعها في أثناء تلقيه فأحدث تكرار الصاد صوتاً يماثل أو يصوّر الضجة التي كانت ترافق نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسـلم، ومنه أيضاً قوله صلى الله عليه وسلّم على لسان الأعرابي: (لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ)[27] وفيها إشارة واضحة إلى سماع الأعرابي لأصوات رتيبة هادئة مـؤثرة مـنْ

---

[25] والحديث في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله، كتاب البر والصلة، باب ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن أو نحو ذلك حتى الشوكة يشاكها، رقم الحديث: 4575، والزفزفة: تحريك يبس الحشيش، وزفزفت الريح الحشيش: حركته، وفي الحديث تزفزف أي: ترتعد من البرد، لسان العرب، مادة: (زفف)، وأم السائب الأنصارية روى عنها أبو قلابة عن النبي صلى الله عليه وسلم هذا الحديث، وقال بعضهم فيها أم المسيّب، انظر ترجمتها في: الاستيعاب في معرفة الأصـحاب: 1938/4، وفـي أعلام النساء: ص: 135

[26] والحديث في صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صـلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: (2)

[27] والحديث أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة، باب في تخفيف الصلاة، رقم الحـديث: 792-793، والدندنة هي: الكلام الخفي الذي تسمع نغمته ولا تفهمه لخفائه، لسان العرب، (دنن)

بعيد ولكنها غير مفهومة، وقد أشار الدكتور السيد إلى ما يقدّمه تكرار الحرف في اللفظة الواحدة من معنى فقال: (وتلك عجالة في تكرير الحرف في الكلمة، ومثيره مزيّة تعود على الجرس وأخرى تعود على المعنى، وقد استغلّ هذه النظرية الازدواجية كثير من النقاد القدامى في بيان تمثيل الألفاظ للمشاهد المعبّر عنها بما لا يخلو منْ إصابة نظر، وقد تمثّلت في هذا الصدد بقول النبي صلى الله عليه وسلم لأمّ السّائب وكانت مريضة بالحمّى يا أم السّائب ما لك ّتزفزفين، فإنّ هذا اللفظ بما فيه من التكرار يصوّر لنا رعدة الحمى وتكرار الحركة والصوت في فكّي أمّ السائب، وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاقّ له أجران)[28] فإنّ الفعل مقصود منه صلى الله عليه وسلم لأداء ما أريد منه على تلك الصفة، وإلا لصحّ الاكتفاء بقوله والذي يقرأ القرآن وهو عليه شاقّ له أجران).[29]، فقد أشار اللفظ إلى ما يلاقيه القارئ من الجهد والصعوبة، فالتعتعة هي التردد في القراءة وتلبد اللسان فيها.

وهو ما نقوله أيضاً في قوله صلى الله عليه وسلم (أبغضكم إلي الثرثارون)[30] فقد كرّر الحرف إشارة إلى كثرة الكلام الذي لا فائدة منه وتكرارهم إياه في مجالسهم المختلفة، وانشغالهم بما لافائدة فيه، وهذا كثير في الحديث النبوي، وهو كما رأينا يحمل جزءاً من المعنى ويصوّر حالة لا يعبّر عنها بغير التكرار، فكلّ زيادة في اللفظ هي زيادة في المعنى كما يقول ابن جني في باب قوة اللفظ لقوّة المعنى: (هذا فصل من العربية حسن منه قولهم خشن واخشوشن، فمعنى خشن دون اخشوشن لما فيه من

---

[28] التكرير بين المثير والتأثير، ص: 76، انظر لسان العرب: (تعع)

[29] والحديث في صحيح مسلم، كتاب الصلاة، في صلاة المسافرين،باب فضل الماهر بالقرآن والذي يتتعتع فيه، رقم الحديث (798)

[30] والحديث رواه الترمذي في سننه، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معالي الأخلاق، رقم الحديث: 2019

تكرار العين وزيادة الواو، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (اخشوشنوا وتمعْددوا ،أي علّموا أنفسكم الخشونة وتحمّل الجوع)[31].

تكرار العبارة:

وكما كرّر النبي صلى الله عليه وسلم الحرف الواحد في اللفظة، فقد يكرّر عبارة في مناسبات مختلفة ولغايات شتى، وهو منهج معروف عنده، ومن هذه العبارات، قوله صلى الله عليه وسلّم:

1- (فذلكم الرباط، فذلكم الرباط)، في حديثه الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط)[32] فكرّر العبارة ثلاث مرات في موقف واحد لبيان أهمية ما ذكر ولفت الانتباه إليه، وقد استعمل اسم الإشارة مسنداً إليه مع االلام والكاف ليدلّ به على التفخيم، وأضاف الميم فأفادت اختصاص الإشارة به إليهم زيادة في تنبيه المخاطبين، ثم أتى بالمسند معرفاً، فأفاد تعريف المسند والمسند إليه معنى القصْر فقصر الرباط على ما ذكره في الحديث، فكأنّه يقول: لا رباط إلا ذلكم المشار إليه لكمال المعنى ولئلا يتوهم المسلم أنّ الرباط لا يعني إلا الجهاد بالسلاح، فجاء هذا التكرار ليوسّع هذا المعنى وليفتح باباً آخر أمام السامعين له من الأجر ما للجهاد في أرض المعركة، وهو ما سبق ذكره في الحديث، وأكّد ذلك تأكيداً لا يدع مجالاً

[31] الخصائص: 3 / 264

[32] والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الطهارة، باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم الحديث: 251، والترمذي في سننه، كتاب الطهارة، باب ما جاء في إسباغ الوضوء، رقم الحديث: 51

للشك، وكأنه يريد أن يشير إلى أنّ الطريق الموصلة إلى النصر وإلى الاستعداد للبذل والتضحية ما هو إلا تعويد النفس على ما ذكره في الحديث، لأنّ منْ لا يحافظ على ما ذكر لايمكن أنْ يكون مستعداً لبذل النفس في سبيل الله.

2- تكراره لعبارة اللهم فاشهد، وهو ما أطلق عليه تكرار التبرئة من القصور والتهاون والتقصير لتقرير نزاهة الساحة من اللّوم، وللتعريض بانتقال التبعة إلى أهلها وتحملهم حقوقها مع الإشعار بعظم جانبها، أخذاً من ذلك التوكيد، وذلك في قوله يوم حجة الوداع : (ألا كلّ ربا من ربا الجاهلية موضوع، لكم أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، ألا وإنّ كل دم منْ دماء الجاهلية موضوع، اللهم قد بلغت، قالوا نعم ثلاث مرّات، قال اللهم فاشهد، اللهم فاشهد، اللهم فاشهد)[33]، وهو ما كرّره أيضاً في خطبته التي ألقاها بعد الذي رآه منْ عبد الله بن اللتبية[34] فنقل بهذه العبارة الموجزة الأمانة إلى سامعيه وأشهد الله على ذلك، كما أقرّ الصحابة على أنفسهم بأنهم بلغوا ونصحوا فلا عذر لمقصّر، ولا حجة لمتهاون أو متغافل.

3-ألا أخبركم بخيركم منْ شركم، قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ألا أخبركم بخيركم منْ شرّكمْ ثلاث مرات ؟ قالوا بلى، قال: خيركم منْ يرجى خيره ويؤمن شرّه، وشرّكم منْ لا يرجى خيره ولا يؤمن شرّه)[35]، فقد قرّر النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة عامة يقيس بها الإنسان نفسه منْ خلال أعماله وتصرفاته مع غيره، فإنْ أمن شره ورجي خيره فذاك الخيّر بميزان الإسلام، ترغيباً للمسلمين في مراقبة أعمالهم وعلاقاتهم مع الآخرين، وقد أتى النبي

[33] والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 1218

[34] والحديث في صحيح البخاري، كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، عن أبي حميد الساعدي، رقم الحديث: 2457

[35] والحديث أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الفتن، باب خيركم من يرجى خيره، رقم الحديث:2264

صلّى الله عليه وسلّم بفعلي يرجى ويؤمن بصيغة المبني للمجهول لتعظيم هاتين الصفتين وبيان خطورتهما في حياة المجتمع، وليضعْ كلّ إنسان نفسه في مكانها وليحكمْ عليها حكماً ذاتياً قائماًعلى أساس ثابت حدّده رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الكلمات الموجزة، ومع ما في أداة العرض (ألا) من استنهاض قوى النفس وبعث نشاطها، تكرّرت الجملة مع الأداة نفسها ثلاث مرّات لاستغراق خبايا الشعور بالانتباه، وليحرّك الشوق والحماس عند الصحابة، لمعرفة الخير من الشر وهم منْ أفنوا حياتهم وفارقوا مضاجعهم منْ أجل ذلك.

4- رغم أنفه: وقد كرّرت هذه العبارة للتأكيد على برّ الوالدين ورعايتهما، ففي قوله صلى الله عليه وسلم: (رغم أنفه رغم أنفه، رغم أنفه، قلنا منْ يا رسول الله؟ قال منْ أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخلاه الجنة)[36] تصدّر الحديث بهذا الفعل الدعائي بصيغة الماضي لتأكيد وقوعه، وقد هزّ هذا الفعل بصيغته وتكراره قلوب السامعين فتلهفت أنفسهم لمعرفة المقصود بهذا الدعاء خوفاً منْ أنْ يكونوا ممّن يشملهم، فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، وقد تطلعت أنفسهم لسماعه، وإذ بجواب الحبيب يأتي أعمّ وأشمل ممّا كانوا يتوقعون، إنه دعاء على كل منْ يدرك أبويه على قيد الحياة، ولم يدخل الجنة بطاعتهما وتأدية حقوقهما، قال: (منْ أدرك) هكذا ليبقى هذا الدعاء خالداً ما دامت الحياة مستمرة، ثم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم الوالدين سبباً لدخول الأبناء الجنة، فكأنّ مفاتيح الجنة بأيديهما لا يفتحانها إلا لمنْ أطاعهما وأحسن إليهما، وذلك للتأكيد على خطورة هذا الأمر وأثره في إقامة حياة إنسانية سامية قائمة على أساس المحبة والاحترام.

---

[36] والحديث رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأدب، باب: رغم أنف من أدرك أبويه فلم يدخل الجنة، رقم الحديث: 2551

5- ألا وقول الزور ألا وشهادة الزور: وهي عبارة استعملها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ قالوا بلى يارسول الله، قال:الإشراك بالله وعقوق الوالدين، ثم كان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، "ألا" وشهادة الزور فما زال يكرّرها حتى قلنا ليته سكت)[37] سؤال سبق بأداة العرض ألا لتنبيه السامعين وإثارة رغبتهم في معرفة أمر جديد يجنّبهم الوقوع في أمور عظيمة يصفها النبي صلى الله عليه وسلم بأنها منْ أكبر الكبائر، وقد بدأ بهذا السؤال كيلا يشعر الصحابة رضوان الله عليهم بأنّ الأمر سيفرض عليهم فرضاً، ثم ينتقل إلى هذه العبارة القصيرة التي دعت النبي صلى الله عليه وسلم إلى تغيير جلسته تغييراً مفاجئاً، رافقها انفعال وتأثر بدا على وجهه الكريم صلى الله عليه وسلّم، ليكون هذا التغير المادي دليلاً على خطورة ما سيأتي، فأخذ هذا التكرار قلوب الصحابة وانخلعت نفوسهم شفقة على حبيبهم صلى الله عليه وسلم أولاً، وعلى أنفسهم ثانياً، فلم ينتبهوا إلى عدّها، بلْ ارتبطت قلوبهم بحبيبهم ورنت أنفسهم إلى راحته، حتى تمنّوا لو أنه سكت إشفاقاً عليه ورحمة له، وخوفاً على أنفسهم من غضبه.

6- اللهم عليك بقريش[38] كرّرها ثلاثاً وهو تكرار يوضح غلظة قريش وتماديها في عدائها لرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم نفع صبره على أذاهم، ويصبح الموقف أكثر وضوحاً إذا تذكرنا أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ما دعا على قومه في

---

[37] والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب: ما جاء في شهادة الزور، رقم الحديث: 2511، وفي كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر، رقم الحديث: 5631، وفي صحيح مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر، رقم الحديث: 87

[38] والحديث اخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المشركين والمنافقين رقم الحديث 1794

أصعب الظروف، بل قال: (ربّ اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)[39] كما كرّر النبي صلى الله عليه وسلم قوله: (ويل للأعقاب من النار[40] مرّتين أو ثلاثاً للتحذير منْ عدم إسباغ ماء الوضوء على كامل القدمين، وكرّر قوله: (فمنْ كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله)[41] باللفظ نفسه ترغيباً للمسلمين في أنْ تكون نيتهم في كل عمل يقومون به مرضاة الله تعالى دائماً، جلّ هذا العمل أم صغر.

7- رحم الله المحلقين: وقد كرّر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه العبارة في بيانه لفضل الحلق على التقصير مع جواز التقصير فقال صلى الله عليه وسلم: (رحم الله المحلّقين، قالوا والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: رحم الله المحلّقين، قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: رحم الله المحلّقين، قالوا: والمقصّرين يا رسول الله؟ قال: والمقصّرين)[42] رغبة منه صلى الله عليه وسلم في أنْ يأخذ المسلمون بالأفضل، ولذا كرّر هذه العبارة ثلاث مرات، ولمّا أراد أنْ يبين جواز التقصير وأنّ فاعله في المرتبة الثانية قال: والمقصرين ولم يكرر (رحم الله) للإشارة إلى الفضل بين الفعلين ولحثّ المسلمين على الحلق.

والواضح من خلال ما ذكرناه أنّ كل تكرار في هذه العبارات كان يحمل غرضاً بلاغياً يفهم منْ خلال السياق.

---

[39] والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد، باب: اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 96

[40] الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب: من أعاد الحديث ثلاثاً، رقم الحديث: 96

[41] والحديث في صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب: ما جاء أن الأعمال بالنية، ولكل امرئ ما نوى، رقم الحديث: (1)، وفي صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: إنما الأعمال بالنيات، رقم الحديث: 1907

[42] والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب: تفضيل الحلق على التقصير وجواز التقصير، رقم الحديث: 1300

تكرار اللفظة الواحدة:

وكما كرّر النبي صلى الله عليه وسلّم بعض العبارات، كرّر أحياناً لفظة بعينها، ومنْ هذا القبيل تكراره للفظ الله في قوله: (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمنْ أحبّهم فبحبّي أحبّهم، ومنْ أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومنْ آذاهم فقد آذاني ومنْ آذاني فقد آذى الله، ومنْ آذى الله يوشك أنْ يأخذه)[43] فقد جاء هذا الحديث مفعماً بالتكرار، فلم يكرّر هذا اللفظ فقط بل كرّر عدداً من الألفاظ أيضاً كـ: أحبهم أبغضهم وآذاهم وآذاني، فصدّر الحديث بتكراره لفظ الجلالة لبيان حرص النبي صلى الله عليه وسلم على إكبار أصحابه وإكرامهم وعدم التعرض لأيّ منهم، والمعنى: احذروا غضب الله بسبب النيل منْ أصحابي، ويؤكد هذا الشعور ما ورد في الحديث من التكرار لبعض الألفاظ الأخرى: فمنْ أحبّهم فبحبّي أحبّهم، ومنْ أبغضهم فببغضي أبغضهم... الخ والمقابلة بين الجمل تحمل معنى التأكيد في تصوير اتحاد شأنهم بشأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حبّاً وبغْضاً، وهو أمر يبيّن السبب الذي منْ أجله حذّر وتوعّد، ولم يقف النبي صلى الله عليه وسلم عند هذا الحدّ، بل ارتقى إلى مرحلة أعلى وأجلّ، إذْ جعل منْ آذى اصحابه رضوان الله عليهم فقد آذاه ومنْ آذاه فقد آذى الله تعالى، ومنْ آذى الله يوشك أنْ يأخذه، فالصحابة رضوان الله عليهم ليسوا كغيرهم من البشر فلهم من الحرمة والكرامة والإكبار ما ليس لغيرهم، فإنّ كرههم كره لله ولرسوله، وإنّ محبتهم هي محبّة لله ولرسوله.

كما كرّر قوله: يا رب، وهو ما رأيناه في حديثه الذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يا أيّها الناس إنّ الله طيّب لا يقبل إلا طيباً، قال أبو هريرة ثم ذُكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمدّ يده إلى

---

[43] والحديث أخرجه الترمذي في سننه، في فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة، رقم الحديث:2540

السماء: يا رب، يا رب، ومطعمه حرام وغذي بالحرام، فأنّى يستجاب له)[44] فيصوّر هذا الحديث صورة رجل أشعث أغبر يجتهد في الدعاء ويلحّ في الطلب والسؤال فيقول يارب، يا رب، متناسياً أنّ الحرام قد صاحبه منذ نعومة أظفاره، فطعامه حرام وشرابه حرام، وغذي بالحرام، فكيف سيستجيب الله دعاءه، يقول الدكتور السيد مصوراً هذه الحالة: (.... وإذا تصوّرنا شقاء المرء في الحصول على طعامه وملبسه لما لذلك منْ ثمن يحوج إلى الجهد والعمل والتحصيل، لا يدخل كثيراً في تصوّرنا أنّ الشرب بهذه المنزلة إذّ إنّه قليل المؤنة، وإذاً فإسناد الحرمة إليه يؤكد لنا انطباع هذا المحروم بطابع عدم المبالاة في أيسر الأمور من الكسب، وقد يكون ذلك مبتدأ في نشأته بجريرة المربين والأهل، يدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم: وغذي بالحرام، وهو فعل ماض مبني للمجهول مسند إلى ضمير الرجل النائب عن الفاعل المحذوف، فإذا أضفنا إلى هذا أنّ جملتي المطعم والمشرب اسميتان تأكّد ثبوت هذا الحال على صاحبه)[45].

تكراره لأداة الاستفتاح ألا:

وهو ما رأيناه في خطبته يوم حجة الوداع، وفي قوله: (ألا إنّ الدنيا خضرة حلوة، وإنّ الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون، ألا فاتقوا الدنيا واتقوا النساء)[46].

فقد افتتح الحديث بأداة الاستفتاح (ألا) تتبعها إنّ ليلفت انتباه السامعين إلى أهمية ما سيأتي بعده، فيأتي الخبر وقد تهيأت النفوس لاستقباله وفهمه، فيقرّر حقيقة الدنيا

---

[44] والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم الحديث: 1015، والترمذي في سننه، في التفسير باب: ومن سورة البقرة، رقم الحديث: 2992

[45] الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، ص:89

[46] والحديث في مجمع الزوائد، كتاب الزهد، باب الدنيا خضرة حلوة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم الحديث: 17806، وفي المسند الجامع عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، رقم الحديث: 4684

ويحذر منْ فتنتها ويدعو المسلمين إلى عدم الاطمئنان إليها فما هي إلا دار اختبار وعمل يتبعه حساب ممّن لا تخفى عليه الخفايا.

تكراره لصيغ القسم:

والصيغة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم ملتزماً بها في قسمه تعدّ قاعدة لجميع المسلمين إذا أرادوا القسم، وهو القائل: (إنّ الله ينهاكم أنْ تحلفوا بآبائكم، فمنْ كان حالفاً فليحْلف بالله أو فليصمت)[47]، فكان في قسمه لا يخرج عنْ هذه القاعدة، فإذا حلف لم يحلف إلا بالله، وإنْ تعدّدت الصيغ فالنتيجة واحدة، ومن هذه الصيغ: قوله والذي نفس محمد بيده فقد جاء لفظ نفس مضافاً إلى الاسم الظاهر (محمّد) لأنه أشدّ تحديداً لمدلوله في مقام الترهيب والمهابة في المواطن التي يرى فيها النبي صلى الله عليه وسلم أنها بحاجة إلى هذا الترهيب، وقد استعملها في أكثر من موضع، منها قوله صلى الله عليه وسلم : (والذي نفس محمد بيده لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)[48] في ردّه على أسامة بن زيد رضي الله عنه وشفاعته للمرأة المخزومية التي سرقت في عهده، وأراد أنْ يقيم عليها حدّ السرقة، فالموقف بحاجة إلى هذا الترهيب فهو أساس صلاح المجتمع ودوامه واستقراره، فكأنه يقول: والذي نفس محمد - هذا الرجل الذي تعرفونه بصدقه وأمانته ــ لو أنّ أقرب الناس إليه (ابنته فاطمة) سرقت - وحاشاها أن تسرق- لقطعت يدها ، وقد يستعمل صيغة: والذي نفسي بيده أيضاً كثيراً في كلامه وهي صيغة تحمل معنى الصيغة الأولى ولكنّها تشير إلى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يقول: إني وأنا رسول الله إليكم لا أملك أمر نفسي، فنفسي بيد

---

[47] والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان والنذور، باب لا تحلفوا بأبائكم، رقم الحديث: 6271، ومسلم في صحيحه، كتاب الأيمان، باب النهي عن الحلف بغير الله، رقم الحديث: 1646

[48] والحديث في صحيح مسلم، كتاب الحدود، باب: قطع يد السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود، رقم الحديث:1688

خالقها يقلبها كيف يشاء، فقد أضاف استعمال الاسم الظاهر في الصيغة الأولى ما لا تحمله الصيغة الثانية من المبالغة والغضب خوفاً منْ تعطيل حدّ منْ حدود الله، ومنْ هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم:(لا تسبّوا أصحابي، لا تسبّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه)[49] فقد اجتمع في هذا الحديث تكرار لا تسبوا أصحابي مع صيغة القسم ليحذر الناس من الوقوع في هذا العمل، وليذكرهم بفضل الصحابة رضوان الله عليهم وشرفهم وكرامتهم فشتان بيننا وبينهم.

التكرار بالمعنى:

وهو تكرار المعنى بألفاظ مختلفة، وقد كان هذا التكرار منهجاً سلكه النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديثه وذلك لدفع الملل والسأم عن السامع والقارئ، أو لعرض المعنى بطرائق مختلفة للتأثير في السامعين وقد كان هذا الأسلوب معروفاً عند العرب، مستعملاً عندهم، قال ابن قتيبة: (وأمّا تكرار المعنى بلفظين مختلفين فلإشباع المعنى والاتساع في اللفظ)[50]، وقال د. البيومي مشيراً إلى هذا النوع في الحديث النبوي: (وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عنْ دار الثواب ودار العقاب ممّا يجب أنْ يتكرّر في عظاته دون ملال، ولكنّ البراعة أنْ يضطر الرسول صلى الله عليه وسلّم إلى إعادة ما قال فما يسأم كما يسأم المعيدون، بلْ يحاول أنْ يظهر حديثه المعاد في ثوب جديد، ليضيف بعض الطريف منه إلى تليد ما قال، والإنسان منّا يتضايق عادة حين يضطر إلى إعادة خطبة قالها، أو صياغة مقال سبق نشره، إذْ يستقرّ في أعماقه أنّ السامع في موقف الخطبة، والقارئ في مجال المقال سيتفقد الجديد دون أنْ يعثر عليه، ولكنّ الداعية المبين يجد منْ أدوات البيان لديه ما يذهب

---

49 والحديث في صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: تحريم سبّ الصحابة، رقم الحديث:2540

50 تأويل مشكل القرآن، ص 240

عنه التضايق، فيعرض الحديث في ثوب أقشب وأبهج)[51]، وقد قسّم ابن جني هذا النوع من التكرار إلى قسمين، فقال: (... والثاني تكرير الأول بمعناه وهو على ضربين: أحدهما للإحاطة والعموم، والآخر للتثبيت والتمكين)[52] وكما يظهر منْ قوله أنّه تحدث عن الغاية من التكرار وليس عنْ أقسامه، وقد كرّر النبي صلى الله عليه وسلم عدداً من المعاني التي تؤلّف قوام الدعوة الإسلامية بعبارات مختلفة، فما شعر القارئ ولا السامع بالملل ولا بالسأم، وما أحسّ أنّ المعنى قد تكرّر لولا جمعنا لهذه الأحاديث مع بعضها، والتكرار بهذه الصورة مقدرة لا يوفّق إليها كلّ متكلّم، ولا يصل إليها إلا منْ ملك ناصية اللغة ووقف على أسرارها، وعرف مكنوناتها، ومنْ هذه المعاني:

تأكيد ارتباط العمل بالنية:

فقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم أنْ يؤكّد أهمية النية في أي عمل يقوم به الإنسان، فعمل الإنسان مرهون بنيّته، فإنْ صلحت صلح العمل وإنْ فسدت فسد العمل جلّ هذا العمل أم صغر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّما الأعمال بالنيّات، وإنّما لكل امرئ ما نوى، فمنْ كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومنْ كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه)[53]، ولمّا كانت النيّة تؤلّف ثلث عمل الإنسان أو ربعه كما أشار شارحو هذا الحديث فقد عمد النبي صلى الله عليه وسلم إلى تكراره وإبرازه في صور مختلفة، ولكنّ القاسم المشترك بينها هو أهمية النيّة وإنْ اختلفت العبارات وتبدّلت الألفاظ، فها هو ذا يؤكد هذا المعنى في حديث آخر رواه أبو هريرة رضي الله عنه فيقول: (إنّ أوّل الناس

---

[51] البيان النبوي، ص: 153

[52] الخصائص: 3 / 103

[53] سبق تخريجه ص 6، قال القاضي عياض ذكر الأئمة أن هذا الحديث ثلث الإسلام وقيل ربعه وقيل نصفه، عمدة القاري: 1 / 22

يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد، فأتى به فعرّفه نعمه عليه فعرفها، فقال ما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأنْ يقال جريء فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل تعلّم العلم وعلّمه وقرأ القرآن، فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها ؟ قال: تعلّمت العلم وعلّمته وقرأت فيه القرآن، قال: كذبت، ولكنّك تعلّمت العلم ليقال عالم، وقرأت القرآن ليقال قارئ فقد قيل، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار، ورجل وسّع الله عليه وأعطاه منْ أصناف المال كلّه، فأتى به فعرّفه نعمه فعرفها، قال: ما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحبّ أنْ ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ثم أمر به فسحب على وجهه ثم ألقي في النار)[54].

وهناك حديثاً آخر تحدّث فيه النبي صلى الله عليه وسلم عنْ أهمية النية وربط ثواب العمل بصلاحها، وهو حديث رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قال رجل: لأتصدّقن بصدقة، فخرج فوضعها في يد سارق، فأصبحوا يتحدثون تصدّق على سارق، فقال اللهم لك الحمد، لأتصدّقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد زانية، فأصبحوا يتحدثون تصدّق على زانية، فقال: اللهم لك الحمد، لأتصدّقن بصدقة، فخرج بصدقة فوضعها في يد غني، فأصبحوا يتحدثون تصدّق على غني، فقال: اللهم لك الحمد، على سارق وعلى زانية وعلى غني، فأتي فقيل له: أمّا صدقتك على سارق فلعلّه أنْ يستعفّ عنْ سرقته، وأما الزانية فلعلّها أنْ

[54] والحديث في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، رقم الحديث: 1905

تستعفّ عنْ زناها، وأما الغني فلعلّه يعتبر فينفق ممّا أعطاه الله)[55]، وقد ذكرنـا قبـل قليل حديث إنما الأعمال بالنيات، وهو حديث مشهور رواه عمر ابن الخطاب رضـي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ورد بروايات مختلفة أساسها واحـد وهو التأكيد على قيمة النية، وأنّ العمل مقرون بصلاحها أو فسادها، وقد كـرّر هـذا المعنى أيضاً في حديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عنْ ذاك الرجل الـذي خـرج مبكّراً للعمل وقد اختلفت تفسيرات الصحابة لهذا الخروج فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنْ كان خرج يسعى على نفسه فهو في سبيل الله، وإنْ كان خرج يسعى علـى أبوين شيخين فهو في سبيل الله، وإنْ كان خرج يسعى رياء ومفاخرة فهو فـي سـبيل الشيطان)[56] فقد أظهر هذا الحديث كيف وسّع النبي صلى الله عليه وسلم أفق أصـحابه من خلال المثال العملي والدليل المادي، فهذه أحاديث أربعة تتحدث عنْ فكرة واحـدة هي النية وأهميتها، إلا أنّ الصورة التي عبّر بها عنْ هذه الفكـرة مختلفـة ومتنوعـة تصب في مشرب واحد، وتؤكد أمراً جوهرياً هو بلاغة النبي صلى الله عليه وسـلم وسلامة تكراره من العيب، وخلوّه من صفة السأم والملل، فـالتكرار كمـا يقـول د. البيومي: (سلاح ذو حدين فقد يكون ناجحاً مثمراً إذا طرق النفوس منْ أبواب ملوّنة، وقد يكون مبعث السأم والملل والضيق إذا فقد التلوين فـي العـرض والإبـداع فـي التصوير، حتى ليؤدي إلى عكسه بانصراف الناس عنْ فحواه)[57].

---

[55] والحديث في صحيح البخاري، كتاب: الزكاة، باب: إذا تصدق الرجل على غني وهو لا يعلمه، رقم الحديث: 1355، واللفظ له، ومسلم في كتاب: الزكاة، باب: ثبوت أجر المتصدق وإن وقعت الصدقة في يد غير أهلها، رقم الحديث: 1022

[56] والحديث أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم الحديث: 6831

[57] البيان النبوي، ص: 182

تأكيد معنى التوبة والحث عليها:

وقد جاء تأكيد النبي صلى الله عليه وسلم لمعنى التوبة متمشياً مع طبيعة مهمته التي أُرسل بها، فهو مبشّر ومبلّغ لا منفّر ولا معذّب، كما جاء في مواطن كثيرة من القرآن الكريم، كقوله تعالى مثلاً (فذكّر إنّما أنت مذكّر لست عليهم بمسيطر)[58]. وقوله تعالى: (وما على الرسول إلّا البلاغ)[59] وغيرها كثير ولأهمية التوبة أكثر النبي صلى الله عليه وسلم منْ ذكرها والحديث عنها والترغيب فيها، والدعوة إليها، والتنفير من المعصية والتحذير منها، والدعوة إلى مجافاتها وتركها والهرب منها، والاستيقاظ قبل فوات الأوان، ومن هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم: (التائب من الذنب كمن لا ذنب له)[60] وقوله في حديث آخر:(والذي نفسي بيده، لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم)[61]، فيتعاضد شعور الرحمة والشفقة والمحبة بشعور الخوف على المدعوين والوجل على مصيرهم مع جمال اللفظ وروعة الأسلوب، إنها دعوة النبي صلى الله عليه وسلم **إلى** التطهر من الآثام والإقلاع عن الذنوب، والعودة إلى الله تعالى، وهي قضية أكّدها النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جديدة روتها لنا السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لله أفرح بتوبة عبده حين يتوب إليه من رجل نزل منزلاً وبه مهلكة ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى إذا اشتدّ عليه العطش أو ــ ما شاء الله ــ قال: أرجع إلى مكاني فرجع

---

[58] سورة الغاشية: آية 21

[59] سورةالمائدة، آية 99

[60] والحديث في سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، رقم الحديث: 4250

[61] والحديث في صحيح البخاري، كتاب التوبة، باب سقوط الذنوب بالاستغفار توبة، رقم الحديث: 2749

فنام نومة ثم رفع رأسه فإذا راحلته عنده)[62] فالله لا يقبل التوبة فقط، بل يفرح بتوبة عبده، كما يفرح أحدنا بنجاته من مهلكة مؤكدة.

ولم يترك النبي صلى الله عليه وسلّم الباب موصداً دون أحد، فباب التوبة مفتوح، والله يقبل توبة العبد ما لم يقع الحجاب كما قال في حديث آخر، ولعلّ حديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين رجلاً شاهد منْ كثير على ذلك، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (كان فيمنْ كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عنْ أعلم أهل الأرض فدلّ على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً فهلْ له منْ توبة؟ فقال: لا فقتله فكمّل به مئة، ثم سأل عنْ أعلم أهل الأرض فدلّ على رجل عالم، فقال: إنه قتل مئة نفس فهل له منْ توبة؟ فقال: نعم ومنْ يحول بينه وبين التوبة؟ انطلقْ إلى أرض كذا وكذا فإنّ بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجعْ إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنّه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة)[63].

تكراره لمعنى الشهادة وبيان شرفها وثوابها:

ولمّا كان المجتمع الإسلامي بحاجة إلى بذل وعطاء، لحمايته والدفاع عنه لضمان حريته واستقراره، وتيسير السبيل لنشر رسالته ومبادئه التي كلّف بتبليغها إلى الناس

[62] والحديث في صحيح البخاري، كتاب التوبة، باب: الحض على التوبة والفرح بها، رقم الحديث: 2743

[63] الحديث في صحيح البخاري، كتاب الانبياء، باب: أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم، رقم الحديث: 3283

قاطبة، تأدية للأمانة التي أنيطت بالمسلمين بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلى يوم القيامة، وضرورة تبليغ منْ لمْ يصلْ إليهم ولتذكير الغافلين، أكّد النبي صلى الله عليه وسلم على كرامة الشهداء وأجر الشهيد، وكرّر ذلك في صور مختلفة ولكنّ معناها واحد، ومنْ هذا القبيل ما رواه لنا أبو الدرداء رضي الله عنه، عنْ رسول الله صلى الله عليه وسلّم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم: (للشهيد عند الله ستّ خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار منْ عذاب القبر، ويأمن منْ الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوّج اثنتين وسبعين زوجة من الحور)[64].

ويكرّر هذا المعنى في حديث آخر روته السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (كلّ كلم يكلمه المسلم في سبيل الله يكون يوم القيامة كهيئتها إذا طعنت تفجر دماً، فاللّون لون الدم، والعرف عرف المسك)[65] فلم يكتف بتكرار المعنى بل كرّر الحرف أيضاً ليحمل هذا التكرار جزءاً من المعنى، فأوضح تكرار الكاف بما فيه من شدة ما لاقاه هذا الشهيد من التعب والنصب في دنياه حتى وصل إلى ما وصل إليه من السعادة والشرف عند الله تعالى.

ويطالعنا الرسول صلى الله عليه وسلم بصورة ثالثة لهذه الفكرة، يعرضها بأسلوب تصويري يرتفع إلى القمة من الإبداع كما قال د. البيومي[66]، نجده في حديثه الذي رواه لنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، أنه سئل عن قوله تعالى: (ولا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً)[67] فقال صلى الله عليه وسلم: (إنّ أرواحهم في جوف طير خضر، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى قناديل معلقة بالعرش،

---

[64] والحديث في سنن الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ثواب الشهيد، رقم الحديث: 1663

[65] والحديث في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل الخروج في سبيل الله، رقم الحديث: 1876

[66] البيان النبوي، ص:188

[67] سورة آل عمران، آية: 169

فأطّلع إليهم ربك اطّلاعة فقال: هل تستزيدون شيئاً فأزيدكم؟ قالوا: ربنا وما نستزيد ونحن في الجنة نسْرح حيث شئنا؟ ثم اطّلع إليهم الثانية فقال: هل تستزيدون شيئاً فأزيدكم؟ فلما رأوا أنّهم لنْ يتركوا قالوا: تعيد أرواحنا في أجسادنا حتى نرجع إلى الدنيا فنقتل في سبيلك مرة أخرى)[68]، إنّه معنى واحد في صور شتى، تكاد كل صورة تسابق الأخرى إلى فهم القارئ وذهنه، لتتعاضد معاً لتأكيد فكرة واحدة هي منزلة الشهيد وأجر الشهادة يوم القيامة، إنّه الفن النبوي ولا أزيد!.

المغفرة:

والمغفرة أمل كلّ مسلم، وحلم كلّ مخطئ، يصوّرها النبي صلى الله عليه وسلم في صور تشعر الإنسان بالخجل قبل أنْ يقف بين يدي الله تعالى، وقد فضّل عليه وأنعم عليه، فقابل فضله بالخطأ والذنب ونعمه بالكفر والجحود، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّ الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى أنه هالك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم)[69].

ويصوّر النبي صلى الله عليه وسلم المغفرة في صور أخرى لا تقلّ جمالاً وروعة، وأنساً ورحمة عن هذه الصورة، منها تلك اللقطة التي صورها لنا النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الذي رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إنّ عبداً أصاب ذنباً أو قال أذنب ذنباً فقال: ربّ أذنبت ذنباً، وربّما قال: أصبت فاغفره، فقال ربه: أعلم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً، فقال: ربّ أذنبت

[68] والحديث في صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب: فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، رقم الحديث: 1876

[69] والحديث في صحيح البخاري، كتاب: التوبة، باب: قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، رقم الحديث: 2768

ذنباًأو أصبت ذنباً فاغفره فقال: أعلم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ بـه غفـرت لعبدي، ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً، وربما قال: أصاب ذنباً فقال: رب أصـبت ذنباً أو قال أذنبت فاغفر لي، فقال أعلم عبدي أنّ له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفـرت لعبدي ثلاثاً فليعملْ ما شاء)[70] فقد أقرّت هذه الأحاديث طبيعة الإنسان وضـعفه أمـام شهواته ولكنها فتحت أمامه أمل النجاة ما دام العبد ذاكراً مستغفراً.

ضرورة التخفيف في الصلاة:

والصلاة فرض واجب على المسلمين جميعاً، لا تسقط عن ضعيف ولا عن قوي، ولذا فقد أكّد النبي صلى الله عليه وسلم ضرورة مراعاة الإمام لحال مـنْ وراءه مـن المصلين، ففيهم الضعيف والصبي وفيهم صاحب الحاجة، قال رسـول الله صـلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: كان معاذ بـن جبـل رضي الله عنه يصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم ثم يرجع فيـؤمّ قومـه، فـصلّى العشاء فقرأ البقرة، فانصرف الرجل، فكأن معاذاً نال منه، فبلغ ذلك النبـي صـلى الله عليه وسلم فقال: (فتّان، فتّان فتّان ثلاث مرات، أو قال: فاتناً، فاتنـاً، فاتنـاً، وأمـره بسورتين منْ أوسط المفصل)[71].

وقد أكّد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المعنى في حديث آخر عرض فيه هذه الفكرة ولكنْ في ثوب جديد، فقد روى أبو مسعود البدري رضي الله عنه أنّ رجـلاً

---

[70] والحديث رواه البخاري في صحيحه، كتاب: التوبة، بال: التوبة من الذنوب وإن تكـررت الـذنوب والتوبة، رقم الحديث: 2758

[71] والحديث في صحيح البخاري، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: إذا طول الإمام وكان للرجل حاجـة فخرج فصلى، رقم الحديث: 668 - 669 وقوله صلى الله عليه وسلم: فتان أو فاتناً يعني المضلّ عن الحق، وفتّان من صيغ المبالغة، والمفصّل ما ولي المثاني من قصار السور، وسـمي بـذلك لكثـرة الفصول التي بين السور بالبسملة .

قال: يا رسول إني لأتأخر عنْ صلاة العشاء منْ أجل فلان ممّا يطيل بنا، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في موعظة أشدّ غضباً منه يومئذ، ثم قال:(إنّ منكم منفّرين فأيّكم صلّى بالناس فليتجوّز، فإنّ فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة)[72].

ولمّا كانت القضية من المسائل التي تهمّ المسلمين وتواجه حياتهم بشكل مستمر فقد أكّدها في صورة ثالثة نقلها عنه أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا صلّى أحدكم بالناس فليخفّف، فإنّ فيهم الضعيف والسقيم والكبير، وإذا صلّى أحدكم لنفسه فليطوّل ما شاء)[73] وفي حديث آخر قال: (إني لأقوم في الصلاة أريد أنْ أطوّل فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوّز في صلاتي كراهية أنْ أشق على أمّه)[74]. والمعاني التي كرّرها النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة متعددة، فقد كرّر أيضاً تأكيد حق الجار، و فضل الصحابة رضوان الله عليهم، وفضل الوالدين، وفضل الأنصار، ووصْف الجنة والنار، وتأكيد أنّ حبّ الله ورسوله منْ علامات الإيمان، وعقوبة تارك الصلاة. . . .. وغيرها كثير، وهو ما يشير إلى خطأ منْ قال إنّ التكرار بالمعنى أقلّ من التكرار اللفظي.

بواعث التكرار:

لم يكن التكرار في الحديث النبوي ناجماً عنْ فقر لغوي، ولا عن عجز في التعبير، وإنّما كان مقصوداً متعمداً، جاء ليحمل جزءاً من المعنى المراد، فكان وسيلة

---

[72] والحديث في صحيح البخاري، كتاب الجماعة والإمامة، باب: تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود، رقم الحديث: 670

[73] والحديث في صحيح البخاري، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، رقم الحديث: 467

[74] والحديث في صحيح البخاري، كتاب: الجماعة والإمامة، باب: من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، رقم الحديث: 675

من وسائل الدعوة، وطريقة من طرائقها، يستعمله النبي صلى الله عليه وسلم إذا وجد ضرورة لذلك، فهو في موضعه كالإيجاز في موضعه، والحاجة إليه كالحاجة إلى غيره من الأساليب الأخرى، وقد أدرك أبو هلال العسكري هذا الأمر فأشار إليه بقوله: (وكلام الفصحاء مشوب الإيجاز بالإطناب، والفصيح العالي بما دون ذلك من القصد المتوسط ليستدلّ بالقصد على العالي، وليخرج السامع من شيء إلى شيء فيزداد نشاطه وتتوفر رغبته، فيصرفوه في وجوه الكلام، إيجازه وإطنابه حتى استعملوا التكرار ليتوكد القول للسامع، وقد جاء في القرآن وفصيح الشعر منه شيء كثير)[75].

والنبي صلى الله عليه وسلم يدرك تماماً الأمور الضرورية التي يحتاج إلى توكيدها وإلى ترسيخها في الأذهان، فاستعمل التكرار ليدلّ به على ذلك، ولا يكون ذلك التنبيه إلا على الأمور التي تهم الأمة وتعظم العناية بها، ويخاف المتكلم وقوع السامع في الخطأ حالة عدم تكراره لها، وهو ما أشار إليه البلاغيون فيما بعد وتحدّثوا عنه، قال الخطابي في بيانه لهذا الأمر: (. .. إنّما يحتاج إلى التكرار ويحسن استعماله في الأمور المهمة التي قد تعظم العناية بها ويخاف بترك التكرار وقوع الغلط والنسيان فيها والاستهانة بقدرها)[76] وهو ما أشار إليه عبد الكريم الخطيب في العصر الحديث فقال: (إنّ داعية التكرار قائمة في المواقف التي يكون فيها الأمر ذا شأن وخطر في الحياة الروحية والنفسية، فتقتضي الحال أنْ يقابل هذا الموقف بما ينبغي له الحضور النفسي والعقلي، وهذا لا يكون إلا بالتنبيه على هذا الموقف والدعوة له، والهتاف به، والتكرار أداة فعالة منْ أدوات الإيقاظ والتنبيه)[77]، ويذهب الجاحظ إلى أبعد منْ ذلك فيرى أنّ التكرار لا يمكن أنْ نحكم عليه بالحسن أو العيب لأنّ ذلك

---

[75] الصناعتين، ص: 193

[76] ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن: ص 48، وانظر البرهان 3 / 11 وما بعدها

[77] إعجاز القرآن، ص 406 وما بعدها

يرتبط ارتباطاً تاماً بأقدار المستمعين، والمتكلم أعلم بحالتهم وحاجتهم، فقال: (وضبط الحاجة إلى التكرار والترداد غير ممكن لأنه أمر يتصل بأقدار المستمعين، ومنْ يحضر الحديث من العامة والخاصة)[78] إلى أنْ يقول: (وإنّما ينبغي للمتكلم أنْ يحذف بقدر ما لا يكون سبباً لإغلاقه، ولا يردّد وهو يكتفي في الإفهام بشطره، فما فضل على المقدار فهو الخطل[79].

فالتكرار إذن ليس حلية لفظية، ولا حيلة لغوية، وإنّما هو أسلوب له أهدافه وفائدته، ولم يخرج التكرار النبوي عن هذا المنهج، بلْ جاء ليحقق غايات بلاغية كثيرة منها:

1-تأكيد الأمر والإشارة إلى أهميته وخطورته:

وأي شيء أكثر خطورة وأهمية من أداء أمانة كلِّف بها النبي صلى الله عليه وسلم وقضى في تبليغها ثلاثاً وعشرين سنة من عمره الشريف، وهي كلّ لا يمكن فصم أجزائها ولا تناسي بعض مبادئها، وهو ما جعل النبي صلى الله عليه وسلم يقف يوم حجة الوداع مذكراً واعظاً، ومؤكداً أهمية ما يقول أمام الناس جميعاً، ليعلّمهم ضرورة التمسك بما دعا إليه، وليشهدهم جميعاً أنّه قد بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصح الأمة، وأصبحت الدعوة أمانة في أعناقهم إلى يوم القيامة، فكان يردّد عقب كلّ توجيه منْ توجيهاته الشريفة: اللّهم هل بلّغت، اللّهم فاشْهد.

وهو الأمر عينه الذي دعاه إلى تكرار حديث النية لبيان أهميتها، وقد قلنا إنّ حديث الأعمال بالنيات يدخل فيه ثلث الدين أو نصفه كما قال شارحوه، وهو ما يمكن أنْ يفسّر تكرار الرسول صلى الله عليه وسلم له في مواطن كثيرة. وقد أشار د.

---

[78] البيان والتبيين: 1 / 105

[79] الحيوان: 1 / 95

البدوي إلى هذه الغاية فقال: (والتوكيد منْ أهمّ العوامل لبثّ الفكرة في نفوس الجماعات وإقرارها في قلوبهم إقراراً، ينتهي إلى الإيمان بها، وقيمة التوكيد بدوام تكراره بالألفاظ عينها ما أمكن، فإذا تكرّر الشيء رسخ في الأذهان رسوخاً، تنتهي بقبوله حقيقة ناصعة، وللتكرار تأثيره في عقول المستنيرين وتأثيره أكبر في عقول الجماعات من باب أولى، والسبب في ذلك كون المكرّر ينطبع في تجاويف الملكات اللاشعورية التي تختمر فيها أسباب أفعال الإنسان، فإذا انقضى شطر من الزمن نسي الواحد منّا صاحب التكرار وانتهى بتصديق المكرّر، واستخدم القرآن التوكيد وسيلة لتثبيت المعنى في نفوس قارئيه وإقراره في أفئدتهم حتى يصبح عقيدة من عقائدهم، والصورة أوضح إنْ كرّر المعنى في أكثر منْ صورة، فيكون ذلك أعمّ نفعاً وأكثر تأثيراً)[80]، كما أشار د. فضل عباس إلى دور التكرار في تأكيد المعنى فقال: (اعلم أنّ التكرار أسلوب منْ أساليب العربية، يؤتى به لتأكيد القول وتثبيته حينما يستلزم المقام ذلك)[81].

2-التشوق والاستعذاب والتلذذ بذكر الاسم:

وإذا كان ابن رشيق قد أشار إلى مواطن يحسن فيها التكرار، ذكر منها التلذّذ بذكر المحبوب في الغزل، فإننا نذكر لذكر المحبوب معنى أسمى في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول ابن رشيق: (وللتكرار مواضع يحسن فيها ومواضع يقبح فيها، ولا يحب للشاعر أنْ يكرّر أسماء إلا على جهة التشوق والاستعذاب، إذا كان في تغزل أو تشبيب)[82]، إلا أنّ التشوق والاستعذاب في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في الغزل ولا في التشبيب، وإنّما كان التلذذ في ذكر الاسم واستعذاب

[80] من بلاغة القرآن، ص: 143

[81] البلاغة فنونها وأفنانها 1 / 487–488

[82] العمدة لابن رشيق 2 / 298

التلفظ به ونطقه لرابطة إيمانية تربط بينه وبين الأنصار أولئك الذين نصروه يوم خذله الناس، وآووه يوم أخرجه الناس، وصدّقوه يوم كذبه الناس، وواسوه بأنفسهم وأموالهم، فكان منهم وكان بينهم في أوقات الشدة والرخاء، وقد أفصح عنْ حبّه هذا يوم بلغه ما بلغه عنْ بعض صغار الأنصار منْ تضايقهم لتوزيع الغنائم على أهل مكة دون الأنصار، فقال في خطبة رائعة خطبها: (.... الأنصار شعار والناس دثار، ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ولو سلك الأنصار شعباً وسلك الناس شعباً لسلكْت شعب الأنصار، الأنصار شعار والناس دثار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار)[83]،ولم يكن هذا التكرار إلا لاستعذاب ذكر الأنصار وللتلذذ بذكرهم ولإكرامهم وتشريفهم، ولبيان مكانتهم عنده وحبه ووفائه لهم.

3-التحذير من الوقوع في فعل المكرّر المحذّر منه:

عرف النبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة بأمته وشدة شفقته على أصحابه، حتى وصفه العزيز الجبار في مواطن كثيرة بهذا، ومن هذا القبيل قوله تعالى: (فلعلّك باخع نفسك على آثارهم إنْ لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً)[84] وقال: (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات)[85] ومع هذه الصفة نرى أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كان دائم التحذير لأمته منْ أنْ تقع في عمل يودي بهم في جهنم،أو أيّ عمل يغضب الله تعالى، ومنْ هذا ما رأيناه في تحذيره للأمة منْ أنْ تتّبع سبيل ذاك الرجل الذي مأكله حرام ومطعمه حرام وغذي بالحرام، ثم يمدّ يده إلى السماء يقول يا رب يا رب، وفيه ما لا يخفى من التشنيع والتفظيع لهذا العمل والتحذير منه، كما فيه دعوة واضحة إلى عدم الوقوع فيما

---

[83] والحديث في صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب: إعطاء الزكاة للمؤلفة قلوبهم، رقم الحديث: 139

[84] سورة الكهف، آية: 6

[85] سورة فاطر، آية: 8

وقع به هذا الرجل والتحذير من فعله[86]، وهو ما نقوله أيضاً في سبب غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم منْ فعل معاذ بن جبل رضي الله عنه حين كان يطيل في الصلاة، فقال: فتّان، فتّان، فتّان[87] تحذيراً له من العودة إلى هذا الفعل فيكون فعله سبباً لانصراف الناس عنْ صلاة الجماعة وهو أمر مخلّ بطبيعة الدعوة وروحها.

4-تنبيه الغافل وإفهام الغبي:

والناس مختلفون في أقدارهم، متفاوتون في إدراكهم وفهمهم، منهم بطيء الفهم، وفيهم الفطن اللمّاح، والدعوة الإسلامية دعوة عامة إنسانية خالدة، فلا بدّ أنْ يتّبع الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الأسلوب، وينهج هذا النهج حرصاً على أداء الأمانة وتبليغها للناس جميعاً، فيخاطب الفطن، ويخاطب الغبي وينبهه وهو ما يمكن أنْ نفهمه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: (كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا تكلّم أعادها ثلاثاً لتعقل عنه)[88].

5-الإلحاح في الدعاء:

وهو كثير في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنه قوله: اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، وقوله: اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، فقد ضاقت الدنيا على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشكوا ضيق حالهم وقلّة حيلتهم، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم وألحّ في السؤال رغبة منه صلى الله عليه وسلم أنْ يفرّج الله كربتهم ويصلح حالهم، وكررقوله: اللهم عليك بقريش ثلاثاً، إشارة إلى شدة ما لاقاه منْ قريش وتماديهم في باطلهم، وعدم نفع النصح لهم، وقوله صلى الله عليه وسلم: اللهم اشف

---

[86] سبق تخريجه ص (7)

[87] والحديث سبق تخريجه ص: (11)

[88] سبق تخريجه ص: (2)

سعداً ، اللهم اشف سعداً، اللهم اشف سعداً[89]، فيعبّر التكرار في هذا الحديث عنْ حبّ شديد لهذا الصحابي الذي كان له دوره البارز في إسلام قومه، وفي نصرة النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين في المدينة، وكلّ دعاء من الأدعية السابقة يشير إلى إلحاح النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه إما طالباً الرحمة والسقيا لأصحابه، أو الدعاء على منْ ناصبه العداء وآذاه وصرفه عنْ أداء الأمانة وتبليغ الرسالة.

6- الباعث النفسي:

تؤكد الدراسات النفسية الحديثة أنّ المتحدّث إذا كرّر، أكّد فكرة تلحّ عليه وتستهويه وتشغله وتسيطر عليه فلا تفارقه، وهو أمر فطري معروف أكّده علماء النفس وبدت آثاره واضحة في شعر الشعراء قديماً وحديثاً، وقد أشارت نازك الملائكة إلى نظرة الأدباء والنقاد إليه بقولها: (أمّا الأدباء والنقاد فإنّهم يرون أنّ التكرار في حقيقته إلحاح على جهة مهمة في العبارة، يعنى بها الشاعر أكثر منْ عنايته بسواها، فالتكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة، ويكشف عنْ اهتمام المتكلم بها وفي هذا تركيز واضح على الباعث النفسي للتكرار، ممّا جعله ذا دلالة نفسية قيمة، تفيد الناقد الأدبي الذي يدرس الأثر ويحلّل نفسية كاتبه)[90]، وهذه الفكرة وإنْ وضعتها نازك الملائكة تحت عنوان علم النفس، لمْ تكنْ بعيدة بمعناها عنْ أذهان القدامى، إذ أشاروا إلى أنّ التكرار للشي يشير إلى أهميته عند قائله، وإلحاحه على فكره.

وإذا كان أمر من أمور الدنيا يشغل صاحبه ويلحّ عليه، فأيّ أمر أهم منْ قضايا الدعوة، أو أهمّ منْ أداء الأمانة أو نصح الأمة، وتخليص الذمّة أمام الله وأمام عباده، أو أيّ أمر أهم منْ نصح العباد وتحذيرهم غضب الله تعالى وتنبيههم على ما ينفعهم

---

[89] والحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأنبياء، باب: قوله تعالى: (لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين) رقم الحديث: 3203

[90] قضايا الشعر المعاصر، ص: 276

في دينهم ودنياهم، كلّ هذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم يكرّر في كلامه ويعيد، وهو ما يمكن أنْ نلمحه في ما كرّره النبي صلى الله عليه وسلم جميعه، وخصوصاً في قوله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: اللّهم هلْ بلّغت اللّهم فاشهدْ، أو في حديثه عنْ عبد الله بن اللتبية وقد أرسله النبي على صدقات بني سليم، فجاءه فقال له: يارسول الله هذا لكم وهذا أهدي إليّ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم (ما بال العامل أبعثه فيقول هذا لكم وهذا أهدي إلي؟! أفلا قعد في بيت أبيه أو بيت أمه حتى ينظر أيهدى له أم لا ! والذي نفس محمد بيده لا ينال أحد منكم منها شيئاً، إلا جاء بها يوم القيامة يحمله على عنقه، بعير له رغاء أو بقرة لها خوار، أو شاة تعر، قال **الراوي**: ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه، ثم قال: اللهّم هلْ بلّغت اللهم هلْ بلّغت، اللّهم هلْ بلّغت)[91] تحذيراً من الوقوع في هذا العمل أو فعله أو اللجوء إليه وبيان عاقبته ومصيره، ودعوة صريحة إلى تركه ونبذه.

7- بيان شرف المكرّروفضيلته:

ومن هذا القبيل تنويه النبي صلى الله عليه وسلم بأهمية الهجرة في سبيل الله، وشرف هذا المقصد، قال: (فمنْ كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله)[92]، فوحّد بين فعل الشرط وجزائه في اللفظ ليدلّ على أنّه لا شيء يعبّر عنه سوى التعبير عنْ فضيلته بنفسه لبيان شرف هذا المقصد وشرف قاصده، بينما يعمد إلى استعمال الضمير في حديثه عن الهجرة لغير الله تعالى، فيقول: (ومنْ كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه) ليفيد التحقير حتى كأنّه لا يصلح أنْ يعبّر عنه بشيء سوى نفسه، فهجرته إلى ما هاجر إليه، حطّاً لشأنها وتحذيراً منها، وتنبيهاً على ضرورة عدم الوقوع فيها.

---

[91] سبق تخريجه ص (5)
[92] سبق تخريجه ص (6)

8- الإغراء وزيادة الترغيب في الشيء:

كتكراره للمغفرة والتوبة، وحب الله ورسوله، وتأكيده حق الجار، وغيرهـا مـن الأمور التي ذكرناها قبل قليل، ومنه الترغيب في الطاعة و برّ الوالدين والجهاد فـي سبيل الله، والإغراء والترغيب وسيلة مهمة منْ وسائل الدعوة، وقدْ كثر استعمال النبي صلى الله عليه وسلم لها، كما استعمل التحذير، وهما أسـلوبان غالبـاً مـا يكونـان متجاورين، فكما حذّر النبي صلى الله عليه وسلم منْ بعض الأعمال ودعا إلى تركهـا والابتعاد عنها، استعمل أسلوب الإغراء فحثّ على فعل أعمال خيّرة طيّبـة أحـبّ انْ يتحلّى بها الصحابة ومنْ جاء بعدهم من المسلمين وأنْ يتعاملوا بها، فكرّرهـا للدلالـة على أهميتها ولإغراء السامعين بها، ومنْ هذا القبيل قوله صلى الله عليه وسلم: (غفر الله لرجل كان قبلكم، سهلاً إذا باع، سهلاً إذا اشترى، سهلاً إذا اقتـضى)[93]، فلخّـص بهذه الألفاظ القليلة أخلاق هذا الرجل وأغرى الصحابة بالسير علـى هديـه والتخلـق بأخلاقه، فهو سهل إذا باع، سهل إذا اشترى لا يماري ولا يجادل، وهو سهل إذا طالب بحقه فلا قسوة ولا جفاء في طبعه، وهذه الأمور هي التي تكشف حقيقة طبيعة أخلاق الرجال، فإذا كان المرء فيها سهلاً كان في غيرها أسهل لأنّ منْ كانت هذه أخلاقـه، كانت السهولة مستقرّة عنده متمكّنة في طبعه.

9-التهويل والتخويف:

وهو ما نلمحه في قول الرسول: (رغم أنفه، رغم أنفه، رغم أنفه، قلنا منْ يـا رسول الله ؟ قال منْ أدرك أبويه على قيد الحياة فلم يدخلاه الجنة)[94] ففي تكراره لهـذا الدعاء ما يشعر بخيبة منْ يقع عليه وذلّه، كما يوحي بغضب رسول الله صلى الله عليه

---

[93] والحديث في سنن الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في استقراض البعير أو الشيء من الحيوان، رقم الحديث: 1335:

[94] سبق تخريجه، ص (6)

وسلم وبغضه لمنْ فعل ذلك، ورغبته الشديدة في إبعاد الصحابة رضوان الله عليهم عنه، كما نلمح هذه المعاني في الحديث الآخر الذي نفى فيه صفة الإيمان عنْ ذاك الذي لا يأمن جاره بوائقه فقال: (والله لا يؤمن، والله لا يؤمن والله لا يؤمن، قلنا من يا رسول الله ؟ قال: الذي لا يأمن جاره بوائقه)[95].

10-الإعادة تطرية للمعنى وتجديداً لعهده إذا طال وخشي تناسي الأول:

وهو ما نلمسه في تكراره لأهمية النية، ولضرورة التخفيف في الصلاة، ولحقّ الجار، وحفظ اللسان، وعدم الحلف بغير بالله تعالى.

11- محاكاة العرب واستعمال أساليبهم البلاغية في الكلام:

وإنّما تكلّم النبي صلى الله عليه وسلم بلغتهم وأسلوبهم، ومنْ أساليبهم التكرار، وهو ما أشار إليه ابن قتيبة فجعله عرفاً لغوياًعربياً، فقال: (وأما تكرار الكلام من جنس واحد وبعضه يجزي عنْ بعض، كتكراره في قلْ يا أيها الكافرون، وفي سورة الرحمن، فإنّما أعلمتك أنّ القرآن نزل بلغة القوم وعلى مذاهبهم، ومنْ مذاهبهم التكرار إرادة الإفهام والتوكيد، كما أنّ منْ مذاهبهم الاختصار وإرادة التخفيف والإيجاز)[96].

12-التنويه بشأن المخاطبين:

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (الكريم بن الكريم بن الكريم يوسف بن يعقوب)[97]، ويعني بقوله أنه نبي ابن نبي ابن نبي فقد تنوسخ من الأصلاب الشريفة إلى الأرحام الطاهرة فهذا تكرير بالغ دال على نهاية الشرف، وإعظام المنزلة، ورفع المرتبة عند الله كما يقول العلوي[98].

---

[95] والحديث في صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من لا يأمن جاره بوائقه، رقم الحديث: 5670
[96] تأويل مشكل القرآن، ص: 240
[97] والحديث في صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، باب: (أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت) عن ابن عمر رضي الله عنهما، رقم الحديث: 3202
[98] الطراز: 2 / 181

13- الترديد، وهو تكرار اللفظ متعلقاً بغير ما تعلق به أولا:

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: (السخي قريب من الله، قريب من الناس، قريب من الجنة ، بعيد من النار، والبخيل بعيد من الله، بعيد من الناس، بعيد من الجنة، قريب من النار، ولجاهل سخيّ أحبّ إلى الله منْ عابد بخيل)[99] فقريب الثانية تعلقت بغير ما تعلقت به قريب الأولى، وكذا بعيد الثانية وبعيد الأولى في الحديث.

هذا فضلاً عن أغراض أخرى نلمحها منْ خلال الأمثلة المذكورة، آثرت عدم تفصيلها خوفاً من التكرار، ومن هذه المعاني: الإيقاظ والتنبيه، الوعيد والتهديد، واستمالة المخاطبين وغيرها.

خاتمة:

وبعد، فهذه وقفة مع تكرار النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أسلوب معروف عنده مألوف منه، استعمله لأغراض شتّى، ولغايات متنوعة إلا أنّها كلّها تصب في مشرب واحد هو تعليم الأمة ونصحها وإرشادها، وإقالة عثرتها وجعلها خير أمة أخرجت للناس، وقد تنوّع التكرار عنده فكان تكراراً باللفظ أو تكراراً بالمعنى، ناهجاً في ذلك نهج العرب، سالكاً سبيلهم، ما خرج عنْ المألوف ولكنّه أبدع فيه وجدّد، فجعل القديم جديداً بتطويعه لأغراض الدعوة وتوظيفه لخدمتها، فالتكرار ضرورة ملحّة أحياناً يتطلّبها الموقف، ويقتضيها الموضوع، يستوي في ذلك التكرار المعنوي والتكرار اللفظي، بلْ إنّ التكرار المعنوي في الحديث يكاد يكون أغلب وأوضح خلافاً لما ذكره ابن رشيق في عمدته، وقدْ حقّق التكرار أغراضاً بلاغية كثيرة كتأكيد المعنى، أو التحذير منْ عمل، أو الترغيب فيه، أو التلذّذ والاستعذاب للمكرّر، أو التنبيه على أهمية المكرّر وغير ذلك من المعاني.

---

[99] والحديث في سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في السخاء، رقم الحديث 1962

المصادر والمراجع

1-إبن الأثير: أبو الفتح ضياء الدين بن محمد بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 1411هـ/ 1990م

2-البخاري: محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، تحقيق د.مصطفى ديب البغا، دار العلوم الإنسانية ، دمشق، حلبوني، ط2، 1413 هـ - 1993 م

3-بدوي: محمد أحمد، من بلاغة القرآن، منشورات جامعة طرابلس، ط15، 1395 هـ /1975م

4- أبو البقاء: ابن موسى الحسيني الكفوي، ت (1094)هـ، الكليات، مؤسسة الرسالة، قابله ووضع فهارسه د.عدنان درويش، ط3 / 1413 هـ

5-البيومي: محمد رجب، البيان النبوي، دار الوفاء، المنصورة، 1987 م

6-الترمذي: أبو عيسى محمد بن سورة ت (279هـ) الجامع الصحيح، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الحديث، ط1/ 1418هـ

7- الجاحظ: عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بلا تاريخ.

الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، 1416 هـ

8- جوستاف جرونيباوم، حضارة الإسلام، نقله إلى العربية الأستاذ عبد العزيز توفيق جاويد، بلا تاريخ ولا طبعة.

9- جوستاف لوبون، روح الاجتماع، ترجمة أحمد فتحي زغلول باشا، مطبعة الشعب، مصر 1327

10-ابن جني: أبو الفتح، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3 / 1408 هـ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر 11- الخطابي

12- الخطيب: عبد الكريم، إعجاز القرآن، دار الفكر العربـــي، القـــاهرة. ط 1، بـــلا تاريخ.

13- أبو داود: سليمان بن الأشعث السجستاني ت (275) هـــ سنن أبي داود، تعليـــق عزت عبيد الدعاس، دار ابن حزم 1419 هـــ ـــ1997م

14- ابن رشيق القيرواني: أبو علي الحسن، العمدة في محاسن الشعر وآدابـــه، تـــح. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403 هـــ 1983 م

15 -الزركشي:البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبـــو الفـــضل إبـــراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط2، بلا تاريخ

16- الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط7، 1986م

17- السيد: عز الدين ـــ التكرار بين المثير والتأثير، عـــالم الكتـــب، بيـــروت، ط2 /1986م

ـــــــــــــ الحديث النبوي من الوجهة البلاغية، 1392 هـــ 1973 م، لا يوجد اسم المطبعة.

18- طبانة: بدوي، معجم البلاغة، منشورات جامعة طرابلس، ط1 1395 هـــ

19- الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، بلا تاريخ.

20- عباس: فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، عمّـــان، الأردن، ط1/ 1407 هـــ

21- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاســـتيعاب فـــي معرفـــة الأصحاب، ت.علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـــ/1992م

22- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي، ت571 هـــ، تهـــذيب تـــاريخ دمشق، تح. الشيخ عبد القادر بدران دار المـــسيرة، بيـــروت، ط2 1399هـــــ 1979 م

23-العسكري: أبو هلال، الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، 1406 هـ 1986 م

24- العلوي: حمزة بن علي بن إبراهيم، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت. بلا تاريخ.

25-العيني: محمود بن بدرالدين ت (855) هـ، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، دار الفكر، بلا تاريخ.

26- ابن فارس: أحمد ت (395 هـ) الصاحبي في فقه اللغة، تحقيق د. مصطفى الشويمي، مكتبة بدران للطباعة والنشر، بيروت، 1382 هـ.

27-ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم، ت (276هـ) تأويل مشكل القرآن، شرح السيد أحمد صقر، ط2، 1393 هـ / 1973 م

28-مراد: يوسف، مبادئ علم النفس، دار المعارف بمصر، ط 5، بلا تاريخ.

29- مسلم: أبو الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم بشرح الإمام النووي، تحقيق وتعليق د. مصطفى ديب البغا، دار العلوم الإنسانية، دمشق، الحلبوني، 1418 هـ1997 م.

30- ابن منظور: جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار الفكر، بيروت، ط1 /1976م

31- نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، منشورات مكتبة النهضة، ط3 / 1967م.

تاريخ ورود البحث إلى مجلة جامعة دمشق 2006/7/19.